

غير إسلامي في إمارة الورد بالنسبة للأدب العربي فيها. لذلك نرى أنَّ أنسب تسمية للعصر هو عصر الجهاد، لأنَّ أبرز معالم العصر هو الجهاد في سبيل الإسلام وتوطيد الدولة الإسلامية في الإمارة وتوسيع رقعتها عن طريق السلم والحرب.

وسبق أن ذكرنا أنَّ عبد السلام أول أمير لإلورد، قد استوفد العلماء الذين هم الأدباء من بلاد هوسا وبلاد نوفي وغيرها إلى إمارة إلورد. واستعان بهم في تنظيم شؤون الدولة ونشر تعاليم الإسلام، ودراساته، وتشغيل مناصب القضاء وقيادة الحروب والوزارة، وكتابة الخراج التي تحتاج إليها الدولة الجديدة. وقد قام هؤلاء العلماء بهذه الأعمال مستخدمين اللغة العربية. وسار على منواله الأمراء من بعده لاسيما الأمير شئت الذي تولى العرش بعده وكان أكثر من سلفه حبا للعلم والعلماء، وقيل: إنَّه وجه ابنه محمود وأحمد توجيهاً علمياً حتى نبغا نبوغاً باهراً ونجب من ورائهم أبناؤهم محمد الذي حفظ القرآن عن ظهر قلب، وأحمد الذي نبغ في العلم وله قصائد منها ما شكر الله بها على ما أسبغ عليه وعلى جده ووالده وإخوانه من نعم العلم والمعرفة وفي ذلك يقول:

ألا فاشكروا نعماء ربي إلها ** لوالدنا محمود أهل الدراية

لأن ابنه قبلي محمد اسمه ** حفيظ كتاب الله بين الجماعة

يجول به جولان بحري في اللجج ** ويخرج من فيه بغير اللحونة

كفي ذا له إذ ليس فينا نظيره ** بعلم القرآن حاذق فارغ قولتي

واسم أخيه أحمد ذو جهالة ** يخوض فنون العلم نيل الهداية

وتاليه عثمان عمر كان بعده ** وأنهم نجمان ينفي الدجية

وبعد هما سعد وكان مؤدبا ** لأولادنا القرآن في كل حالة



خلفت بالذنب الثقيل مثقلا * * وجلست بالقلب الحزين مكبلا

كيف النهوض للضعيف مكسلا * * غودرت لنهمل الدموع مؤبلا

شوقا إلى هذا النبي محمد

وقد كانت القصيدة في ثلاثة وستين تخميسا على عدد أبيات القصيدة الأصلية، وقد ذكر في البيت الأخير أنه جعل عددها عدد السنين التي قضاها الرسول وكان آخرها قوله:

ولشوق أحمد هاشمي نظمته * * وبحمد ربي ذي العلا أتممتها

وقبول ربي ذي الجلال رجوتها * * وبعون رب العالمين حتمتها

وجعلت عدتها كسن محمد^{١٨}

والقصيدة الأصلية للشيخ عثمان بن فودي في مدح الرسول - كما سبق - ومطلعها:

هل لي مسيرة نحو طيبة مسرعا * * لأزور قبر الهاشمي محمد

وهي من أشهر القصائد العربية في الأوساط العلمية وأكثرها انتشاراً عند علمائنا النيجيريين، فقد جعلوا تخميسها ميداناً فسيحاً يتبارى في مضماره الشعراء لإبداعاتهم الشعرية ولإثبات قدرتهم على التمسك بनावية اللغة، لأنّ التخميس يتطلب كماً هائلاً من الذخيرة اللغوية.



الدهر سدد سهمه ورماني ** فأصابني في أشرف الأركان
فأصابني في مهجتي وجناني ** فسرى انتعاش السم في شرياني
وتوارد الأصحاب مع تريقهم ** من هاهنا وهنا بغير توان
لكنما التريق لم ينفع معي ** بل زاد منه السم في الطغيان
فألهم رزء والهموم سموه ** والصبر تريق علي الأحزان
تلك الرزية في خديجة إبنتي ** كانت معي كالروح والريحان
عاشت معي سبعا من السنوات في ** زهراتها كشقائق النعمان
فإذا ببنتي قد توسدت الثري ** والجسم منها مد للديدان
قد كنت أحسب أنني عند البلا ** ثبت الجنان وصاحب الإيمان
حتى بليت بموت بنتي هذه ** فتعطل الإحساس من وجداني
فوجدت صبري لم يكن ثبنا على ** هذا المصاب فزاد في النقصان
فعبرت دمعا ساخنا من محجري ** فعلا بكائي والعويل دعاني
فهناك ناديت الفؤاد مناجيا ** هل في البكاء النفع للتكـلان
يا عين لا تبكي علي حكم القضا ** فجميعنا في قبضة الرحمان
والناس مختلفون في ويلاتهم ** والكل يشكو من أذي الأزمان^{٣٣}



تتصف هذه القصيدة بالجودة وحسن الديباج تصور العاطفة الصادقة وتجعل القارئ منفعلًا ومشاركًا للشاعر في إحساسه، ولعلَّ أروع ما في القصيدة مطلعها الذي يعبر في جلاء عن عمق حزن الشاعر وأساؤه وشدة وقع المصيبة على نفسه. وتظهر روعة المطلع في استعارته الجميلة إذ جعل الدهر رامياً لا يطيش سهمه إذا سدده إلى قلب، وسمَّى الشاعر القلب (أشرف الأركان) كناية. وهي نموذج صالح للأدب الإسلامي الرفيع في هذه الإمارة.

الزهد

نختار قصيدة الشيخ آدم عبد الله الإلوري التي نظمها عام ١٩٤١م، في خمسة عشر بيتاً لتكون وعظاً وإرشاداً لبني جنسه. نذكر منها ما تأتي:

نجيء ونمضي واحداً بعد واحد * * * ومن قد مضى قد فات في الأرض يوسد

نعيمك في الدنيا نعيم محدد * * * وعيشك فيها عيش ما سيفسد

إذا كنت في الدنيا تروح وتغتدي * * * وتسعي بأشتات المني تتجدد

تذكر بأن الموت يطرأ فجأة * * * على غرة ما ليس عندك موعد

دخلت إلى الدنيا بغير إرادة * * * سترحل منها عند ما لست تقصد

ألست ترى الأجيال من كل أمة * * * تقوم وتكبو في الدهور وتتفد

ومن قال إن الموت غاية أمرنا * * * فذاك عنيد أو بليد مقيد

فإن وراء الموت دارين فيهما * * * عذاب مقيم أو نعيم مسرمد^{٣٤}



عَدُّ إِنْشَادَ الْأَرَبِ * * الْأَدَبِ الْمُؤَدَّبِ
عَتَلَجَتِي بِشَجَرَتِي * * وَالْعُودُ عَنْ عَرْحِنَ بِي
عَرِيدَ مَنْ شَرَّاشَ أَيَّ * * وَالشَّكْشُ شَرَّ الْمُؤَدَّبِ^{٣٨}

فهذه الأبيات تعكس لنا مدى تأنس الشاعر بالقاموس المحيط الذي حفظه في الصدر.
فما أشبه القصيدة بشعر الأصمعي الذي مطلعها:

صوت صفيير البلبل * * هيج قلب الثمل.

إلى أن قال:

والعود دندن دندن * * والطبل طبطب طبطي
والرقص أرطب طبطب * * والماء شقششقلي^(٣٩)

الشعر الاجتماعي

هناك أشعار في هذا العصر تصور الحالات الاجتماعية الصالحة منها والفسادة،
فيقدر الشاعر الصالحة منها ويمقت السيئة، بل يدعو أولي الأمر أو العلماء إلى محاربة
هذه المفساد ومنع الناس من ارتكابها. ومن أجود ما قيل في هذا النوع من الشعر شعر
الشيخ آدم عبد الله الإلوري الذي قال فيها:

ويح قومي جهلوا معنى الحيا * * وأسأوا فيه ختما وابتداء
هكذا قد جهلوا التواضعا * * وبنوه في سجود وانحناء
خلع نعل جعلوه واجبا * * لهم قبل وصول للفناء



فهذه المناسبات تثير عواطف الأدباء ووجدانهم وتدفعهم إلى قول الشعر أو المقالة أو تأليف كتاب أحيانا أو إلقاء خطاب أو محاضرة. وهناك من شعراء الإمارة من اشتهروا بشعراء المناسبات. فلا يمكن تحديد دور هذه المناسبات في تطور اللغة العربية في نيجيريا وفي الإمارة، بل هي الجو الواسع العريض لخلق بيئة عربية في البلدان النائية عن بلاد العرب.

فظهر الآلة الكاتبة وبالتالي الحاسوب الآلي مما ساعد على حفظ أعمال الأدباء ونشرها، كما وسّعت أجهزة العولمة مثل الإنترنت، والقنوات الفضائية دوائر شعراء الإمارة وبيئتهم والبيئة- كما يقال- هي التي تخلق الأديب.

الشعر في عصر الاستقلال

كثر الشعر في هذا العصر، وتشعبت أغراضه، وتنوعت أساليبه، وتدرجت حالاته بين الجودة والتوسط والضعف، بناء على مدى تمكن الشعراء في اللغة العربية وأسرارها من ناحية، وعلي ثقافتهم من ناحية أخرى. فمن شعراء هذا العصر من حصل على الشهادة الثانوية، ومنهم من نال درجة الليسانس، منهم من حصل على درجة الماجستير الدكتوراه. كما يوجد منهم من يجمع، إضافة إلى

ثقافته الأصلية، بين الثقافتين العربية والإنجليزية. ومنهم من تتقف بالثقافة العربية فقط. وبديهي أن يتفاوتوا في إجادة نظم الشعر العربي، فمنهم فحول الشعراء كما يوجد منهم الشعور.

كانت جميع الأشعار المعثور عليها في هذا العصر غنائية وتعليمية، ولم نعر على الشعر الملحمي أو الشعر التمثيلي. كاد شعراء هذا العصر يستوعبون جميع الأغراض الشعرية المشهورة، ويمتاز شعرهم ببراعة الاستهلال، والوضوح في الألفاظ والمعاني،



هذا على تلك الظنّانة كلها * * ردّ يعدّ على الظنون هجوما

هذا يؤكد أن ربك لم يزل * * حيا مجيبا للعباد رحيمًا

ما عزّ قط عليّ القويّ أمورنا * * يشفي-بأمر-مبتلي وسقيما

ينجي العباد من الشدائد ربنا * * ويجل محتقرا نراه لئيمًا

يغني الفقير بكافه والنون مو * * لانا يأوي إن أراد يتيما

إلى أن قال:

هل من رواة والقصيدة هذه * * خبر يطالب أن يكون عموما؟

خبر يحبذه حبيب "أونيرتي" * * وعدوه قد يشمئز هموما

أستاذنا عبد اللطيف "أونيرتي" * * بشراك إبراهيم جاء نعيما

الله أكبر أنجبت لك أمتنا * * ولدا تقرّ به العيون سليما

الحمد لله الذي أعطاك إب * * راهيم لا منعا ولا تحريما

هذا الجد، أمة مع كونه * * رجلا وحيدا مسلم تكريما

هذا إمام كالخليل سميّه * * أسدي الصلاة إليه والتسليما

يا ربّ طول عمره بسلامة * * وعناية يحيا بها معصوما^(٤٨).



سلام على من بث روح العلم في الأجساد البالية، ومغفرة من الله لمن كان مثالا حيا رائعا للكرام، ورضوان منه تعالى لكثير المروءة والإنسانية، ووداع لنور يضيئ أعماق القلوب القاسية.

صبرا يا عائلة فقيد الإمارة الإلورية، وصبرا يا من كان فصيحاً في اللغة العربية صحيح النطق، مفوهاً زكياً في الطليعة، وشاعراً مفلحاً بحائنه مولعاً بالإطلاع الواسع على أئمن الكتب وأمهااتها، ومن يشتغل حالياً منسقا عاما لجمعة إحياء اللغة العربية وثقافتها بمدرسة العلوم العربية بكانو، محمد الأمين آدم الغمبري.

فالمولى نرجو أن يتغمد الشيخ برحمته، ويلحقه بالذين قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب أمين وشكرا.

فما أشبه هذه القطعة بالثناء الشعري في أفكارها وأسلوبها المتصفة بالعاطفة الصادقة وأخيلة مؤثرة وصور بلاغية رائعة.



الهوامش

- ١- جمبا، مشهود محمود: *واكا الورد: فن أدبي إسلامي شعبي، دراسة تحليلية لأغاني "واكا" الإسلامية في مدينة الورد نيجيريا*، (الورد- نيجيريا: مطبعة توفيق الله، ١٩٩٧م). ص ١
- ٢- الإلوري، آدم عبد الله: *الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي الفلاني*، الطبعة الثانية، (بيروت: ١٩٧١م). ص 135
- ٣- جمبا، مشهود محمود: المرجع السابق ص ١-٢
- ٤- الإلوري، آدم عبد الله: المرجع السابق ص 134
- ٥- المرجع نفسه ص 133
- ٦- جمبا، مشهود محمود: المرجع السابق ص ٢٠
- ٧- الإلوري، آدم عبد الله: المرجع السابق ص 135
- ٨- الإلوري آدم عبد الله: *لمحات البلور في مشاهير علماء الورد*، (القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعاتها، ١٩٨٢م). ص ٢١٠
- ٩- المرجع نفسه ص ٢٢-٢٣
- ١٠- المرجع نفسه ص ٩٠
- ١١- المرجع نفسه ص ٩٠
- ١٢- المرجع نفسه ص ٢٤
- ١٣- المرجع نفسه ص ٢٤-٢٥
- ١٤- الثقافي، عثمان عبد السلام محمد (الدكتور): *تاريخ الأدب العربي في مدينة الورد من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الإستقلال*، الطبعة الأولى، (نيجيريا: Islamic Publication Centre LTD ، ٢٠٠٧م). ص ١٨٠
- ١٥- الإلوري، آدم عبد الله: *لمحات البلور في مشاهير علماء الورد*، المرجع السابق ص ٣٠



- ٣٢- الإلوري، أحمد بن أبي بكر الفلاني: *المرجع السابق* ص ١١٠
- ٣٣- إبراهيم، لطيف أونيريتي: "الرثاء في الشعر آدم عبد الله الإلوري"
- in *JARS Journal of Arabic and Religious Studies*, Publication of Department of Religions, University of Ilorin, Ilorin. Volume 15. p. ٨٠
- ٣٤- هيئة التدريس بالمركز أغيجي: *لقطات من قصائد الإلوري، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيجي، لاغوس، نيجيريا. ١٩٨٦م. ص ٢٠*
- ٣٥- يوسف، يعقوب: "دراسة تحليلية لحركات المدح وتطوره في مدينة إلورن"، بحث قدمه إلى قسم الأديان، جامعة إلورن لنيل درجة الماجستير عام ١٩٩٠م. ص ١٦٠
- ٣٦- إبراهيم، لطيف أونيريتي: "الشيخ آدم عبد الله الإلوري والشعر العربي في نيجيريا"، بحث قدمه إلى قسم الأديان، جامعة الورد، إلورن، نيجيريا. ١٩٩٥م. ص ٤٠٠
- ٣٧- يوسف، يعقوب: *المرجع السابق* ص ١٩٠
- ٣٨- الثقافي، عثمان عبد السلام محمد (الدكتور): *المرجع السابق* ص ٤٢٠
- ٣٩- الإلوري، آدم عبد الله: *مصباح الدراسات الأدبية في ديار نيجيريا، المرجع السابق. ١١١*
- ٤٠- الإلوري، أحمد بن أبي بكر الفلاني: *المرجع السابق* ص ٩٠
- ٤١- إبراهيم، لطيف أونيريتي: "لشيخ آدم عبد الله الإلوري والشعر العربي في نيجيريا" ص ٣٦٠
- ٤٢- إبراهيم، لطيف أونيريتي: "فن المقالة في الأدب العربي النيجري"، في *مجلة منظمة مدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا، (نتائس) العدد ١١، مطبعة شيبوتما، إجيواودي، نيجيريا. ٢٠٠٤م ص ١١٢*
- ٤٣- أبوبكر، عيسى ألبي (الدكتور): *السباعيات، ديوان شعر، (القاهرة: مطبعة النهر للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م) ص 67*
- ٤٤- الصارمي، عبد الكريم عيسى: "أماه" مخطوطة شعرية أخذتها منه، بدون التاريخ.
- ٤٥- أحمد، سليمان أديبايو: *السطور العطرة، ديوان*



- ٤٦- الثَّقَفِي، عثمان عبد السلام محمد (الدكتور): المرجع السابق ص ٧٧-٧٨.
- ٤٧- عبد السلام، صالح عبد السلام: "خبر يطالب أن يكون عموماً" في *البنينيات* مجموعة قصائد لبعض الطلبة النيجيريين بمعهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية فرع كلية الدعوة الإسلامية في جامعة أبومي كالافي جمهورية بنين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م. ص ٣٥
- ٤٨- المغيلي، عبد الكريم سليمان الفلاني: "الإنسان بين اليقظة والنوم خيال سار" من مجموعة مقالات وقصائد أُلقيت بمناسبة وفاة الشيخ آدم بن الحسن الغمبيري الكشناوي، حررها محمد الأمين آدم الغمبيري، (نيجيريا: مطبعة رزكو، كنو، ١٩٩٧م.) ص ٣٢



